## Habit 1: Be Proactive الشعور بالمسئولية وأخذ زمام المبادرة

في أول بحث من هذه السلسلة ، تم تناول العادة الأولى من عادات النجاح ، و لكن بَقِيَ فيها أمران كما أشرتُ قبل ، يُطبق فيهما بَعضٌ من المبادئ الأساسية السابق ذكرها ، أرى أن نتناولهما الآن معاً قبل البَدء في العادة الثانية.

### Focusing On the Circle of Influence:

***Circle of Influence:*** (دائرة التأثير)
*A person's Circle of Influence includes those things he or she can affect directly.*

***Circle of Concern:*** (دائرة الاهتمام)
*A person's Circle of Concern comprises all matters about which he or she cares.*

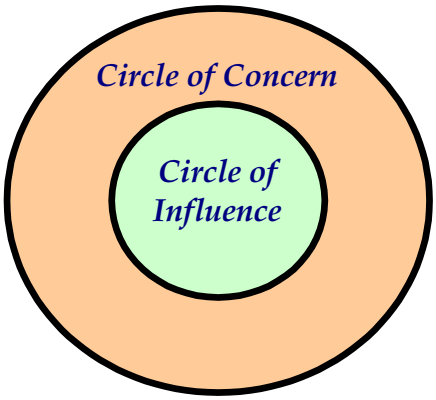


The circle of Influence is like a muscle that enlarges and gains elasticity with exercise, but wastes away with lack of use. When people focus on things they can influence (e.g., their *Emotional Bank Accounts* with others, their *P/PC Balance*), they expand their knowledge and experience, and they build trustworthiness. As a result, their Circle of Influence grows. However, when people focus on things they can't control, they have less time and energy to spend on things they can influence. Consequently, their Circle of Influence shrinks. *(Inside-Out Approach*).

**Proactive Focus**

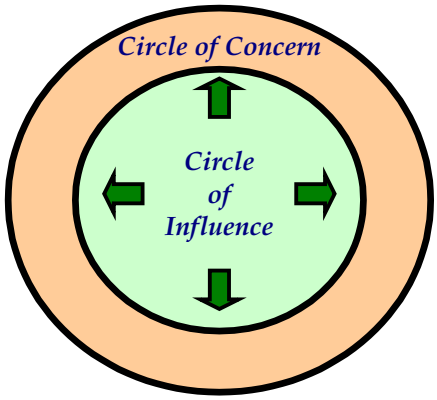


**Reactive Focus**

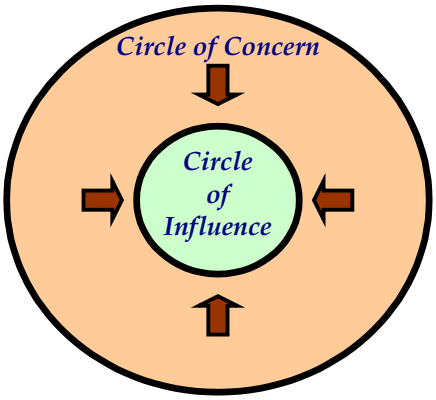

ما سبق يُعتبر مبدأ سُلوكي من مبادئ الناجحين في الحياة على مَرِّ التاريخ ، و يُمكن إسقاط هذا المبدأ على نواحٍ كثيرة في حياة أيٍّ مِنّا.

فإذا أردت أن تحترمَك زوجَتُك وتؤدي لك حقوقَكَ عليها (*دائرة اهتمام*) ، فلابد أن تعاملها أنت أولاً بالحسنى و الرحمة و المودة (*دائرة تأثير*) " ولَهُنّ مِثْلُ الَّذي عَلَيهِنَّ بِالمَعْرُوف" [البقرة – ٢٢٨] ، و إذا أردت أن يؤدي أولادُك ما لك عليهم من حقوق (*دائرة اهتمام*) ، فلابد أن تؤدي أنت أولاً ما لهم عليك من واجبات أيضاً (*دائرة تأثير*) ، و هكذا في تعاملاتك مع جميع الناس ، و إذا أردت أن تُحقق إنجازاً – إنتاجاً – متميزاً في هذه الحياة (*دائرة اهتمام*) ، فلابد أن تُوازن بين الإنتاج و قدرتك على الإنتاج (*دائرة تأثير*) ، كما سبق و شرحنا.

و الخلل في العلاقات الإنسانية و النكوص عن تحقيق إنجازات بارزة في هذه الحياة ، إنما ينتج حينما ينصرف الإنسان إلى التركيز على دائرة اهتمامه - بالمعنى الذي سبق - عن العمل في دائرة تأثيره.
و إنّه لمن السفه أن تجد إنساناً يترك هذه و تلك ثم ينظر في دوائر اهتمامات الآخرين. ألم يعلم هذا " أنّ من حسن إيمان المرء تركه ما لا يعنيه "[رواه الترمذي] ؟!

هذا ، و إذا نظرنا إلى أنفسنا ، نجد أغلب الناس يتصايحون بما لهم من حقوق لم ينالونها ، ثُمَّ هُمَّ ينصرفون إذا طُلِبَ منهم أن يؤدوا ما عليهم من واجبات ، كما لو كان على هذه الدنيا أن تأتيهم بغير عمل و لا جهاد ، ساء ما يحكمون. ما كانت هذه إلا أخلاق المنافقين الذين قال الله فيهم "و يَقُولُونَ آمَنَّا بِاللّهِ و بِالرَّسُولِ و أَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلّى فَرِيقٌ مِنهُم مِن بَعدِ ذَلِكَ و مَا أُولَئِكَ بِالمُؤمِنِينَ ، و إذَا دُعُوا إلى اللّهِ و رَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَينَهُم إذَا فَرِيقٌ مِنهُم مُعرِضُونَ ، و إن يَكُن لَهُمُ الحَقُّ يَأتُوا إلَيهِ مُذْعِنِينَ ، أفِي قُلُوبِهِم مَرَضٌ أمِ ارْتَابُوا أم يَخَافُونَ أن يَحِيفَ اللّهُ عَلَيهِم و رَسُولُهُ بَل أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُون" [النور – ٤٧ حتى ٥٠].

كُلُّ هذا متروكٌ لنا لنتفكر فيه ، و لكن دعوني أستفيضُ القولَ في جانبٍ واحدٍ من الحياة ، ألا و هو جانب الدعوة.

**عند إسقاط هذا الأمر على جانب الدعوة فقط ، نجد ما يلي:**
إنّ أولَ دائرة تأثير أيٍّ مِنّا هِيَ نفسه ، التي هو مسئولٌ عن تزكيتها ، و إصلاحها ، و تجنيبها مزالقَ الهوى حتّى يَلقَى ربَّه بقلبٍ سليم. و الإنسان في سعيه المتواصل لتحقيق ذلك لا ينسى أنّ عليه واجب الدعوة إلى ربِّه بالحكمة و الموعظة الحسنة. (ادعُ إلى سَبِيلِ رَبِّكَ بالحِكمَةِ و المَوعِظَةِ الحَسَنَةِ و جَادِلهُم بالتِي هِيَ أحْسَن) [النحل – ١٢٥]. ولكن كيف يكون هذا المنهج الذي يسير عليه أيٌّ منّا ؟!
عندما بدأ رسول الله ، صلّى الله عليه و سلم ، في الدعوة كان الأمر من الحق: ( و أنذِر عَشِيرَتَكَ الأقرَبِين ) [الشعراء – ٢١٤]. فهكذا نبدأ.

لينظر كلٌ منّا إلى دائرة تأثيره : نفسه ، أهله ، أقاربه ، أصدقاءه ، و زملاءه في العمل ثمّ ليحاول على هذه الجبهات بقدر استطاعته ، و علمه ، و فقهه في دين الله ، أن يدعو إلى ربه بالحكمة و الموعظة الحسنة في رفق و لين و صبر ، كصبر سيدنا نوح عليه الصلاة و السلام ، و أن يُعلِّم هؤلاء ذات المنهج الذي يسير عليه حتّى تتسع دائرة التأثير و تشمل من اختارهم الله في قوله – مخاطباً المؤمنين - :
( يأيُّها الذين آمَنُوا مَن يَرتَدَّ مِنكُم عَن دِينِهِ **فَسَوفَ يَأتِي اللّهُ بِقَومٍ** يُحِبُّهُم و يُحِبُّونَه أذِلَّةٍ عَلَى المُؤمِنِينَ أعِزَّةٍ عَلَى الكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ و لا يَخَافُونَ لَومَةَ لائِمٍ ذَلِكَ فَضلُ اللّهِ يُؤتِيهِ مَن يَشَاءُ و اللّهُ وَاسِعٌ عَلِيم) [المائدة – ٥٤] . . . جعلنا الله جميعاً منهم . . .

كلٌ منّا يرى واقعنا المعاصر بما فيه من فُرْقَة ، و تَشَرْذُم ، و زيغ عن الحق ، ثمّ يقف بعضنا ليمصص الشفاه و يترك نفسَهُ لليأس و القنوط ، ثم يَسُبُّ الحكام ، و حاشيتهم ، و من تعلمون . . . !!
لهؤلاء جميعاً أقول : " يا أخي ماذا فعلت أنت لتَلُمَّ الشمل و تُصلح ذات البين و تَرُدَّ الناس إلى دين الله ، ماذا فعلت أنت في دائرة تأثيرك؟! أتَفَقَّهْتَ في الدين؟! أدعَوتَ أهلك و أقاربك؟! أتَفَوقْتَ في عملك؟! أم شغلت نفسك بحكم طول البنطلون من قصره ، ثم تركت الغرب يُبدع في علوم لا قِبَلَ لنا بها ؟! "

قد يردّ عليّ البعض بحديث رسول الله " (بدأ الإسلام غريباً و سيعود غريباً كما بدأ ، فطوبى للغرباء) [رواه مسلم] ، فدعني أكونُ غريباً ، أعبد الله و لا يَضُرُّنِي مَن ضَلَّ إذا اهتَدَيتُ أنا". . .

و الله ، و أقسم بالله أنّ الفهم الخاطئ لأحاديث رسول الله لا يزيد هذه الأمة إلا موتاً على موت ، و فرقة على فرقة ، و ضلالاً على ضلال.

من أراد أن ينسب نفسه للغرباء فليقرأ سيرة الغرباء الأُوَل ، ليرى كيف تكون حياة غرباء آخر الزمان.

لنكن غرباء كعمر بن الخطاب – وما كان إلا بَشَرَا - . لقد كان حماسه لهذا الدين و قوته في الدفاع عنه و نصرته سبباً في أن جعل الله من إسلامه ما يُعَزُّ به الإسلام ،و ما كان الإسلام ساعتها إلا غريباً.

لنكن غرباء كأبي بكر - وما كان إلا بَشَرَا -. لقد أسلم على يديه أكثرُ المُبَشَّرين بالجنّة ثم هو سخر نفسه و ماله لخدمة هذا الدين ، فجزاه الله خيراً عن هذه الأمة.

و أين نحن من الصحابة و الصحابيات . . كانوا غرباء . . و ما انتصر الدين إلا بالغرباء . . فطوبى للغرباء حقا.

ما أرى هذه الغربة إلا انتشار العداء للإسلام ، و المكر السيئ بدين الله ، و الكيد لأهله من حيث لا يعلمون ، و قلة أهل الحق ، و كثرة أهل الباطل. و إنه لسفهٌ أن ننسب أنفسنا للغرباء و هم مِنَّا براء.

ما أورده الدكتور يوسف القرضاوي – تلميذ الإمام الغزالي – في كتابه :" **الشيخ الغزالي كما عرفته ، رحلة نصف قرن**" في هذه المسألة أكثر من أن أنقله هنا و لكنني سأورد بعضه:

قال الدكتور يوسف القرضاوي مشيراً للإمام الغزالي :
"انظر إلى تعليقه على ((**أحاديث الفتن**)) و ما وقع فيها من سوء فهم ، حتّى غدت من أسباب تقاعس المسلمين عن نصرة دينهم ، و العمل لنهضة أمتهم ، و إصلاح أحوالها ، لما يوحي به سرد هذه الأحاديث من أن الإسلام أبداً في إدبار و أن الكفر في إقبال ، و أن الخير منهزم ، والشر منتصر ، و أن لا جدوى من محاولات الترميم و الإصلاح ، فنحن في آخر الزمان.

و شيوع هذا الفهم السقيم خطر على كيان الأمة و على وجودها ، و هو ضد سنن الكون ، وضد الآيات القرآنية و الأحاديث النبوية الأخرى.

و كيف يُقبل هذا في دين يأمر بالعمل للدنيا إلى آخر رمق فيها : "إن قامت الساعة و في يد أحدكم فسيلة ، فإن استطاع ألا تقوم حتّى يغرسها فليغرسها" [رواه البخاري].
فكيف يُوْئِس – من اليأس – الرسول الكريم أُمَّتَه من العمل لدينهم ، و هو يهيب بهم أن يعملوا لدنياهم إلى آخر لحظة ؟! . . . هذا مستحيل.

من أجل هذا يقاوم الغزالي تلك الأفهام الرديئة التي تحمل على القعود و اليأس ، و تُخدر الأمة عن الجهاد و الكفاح.
لنقرأ معاً تلك الفقرات النيرة من كتابه : ( **قذائف الحق**). يقول حفظه الله:
" كلما قرأتُ أبواب الفتن في كتب السُّنَّة شعرت بانزعاج و تشاؤم ، و أحسست أنَّ الذين أشرفوا على جمع هذه الأحاديث ، قد أساءوا – من حيث لا يدرون ، و من حيث لا يقصدون – إلى حاضر الإسلام و مستقبله.

لقد صَوَّرَوا الدين و كأنه يُقاتل في معركة انسحاب ، يخسر فيها على امتداد الزمن أكثر مما يربح. و دونوا الأحاديث مقطوعة عن ملابساتها القريبة ، فظهرت و كأنها تُغري المسلمين بالاستسلام للشر ، و القعود عن الجهاد ، و اليأس من ترجيح كفة الخير ، لأن الظلام المقبل قدر لا مهرب منه.

لقد ذكر لي بعضهم حديث "بدأ الإسلام غريباً و سيعود غريباً كما بدأ ، فطوبى للغرباء"، و كأنه يفهم منه أن الإسلام سينكمش و يضعف ، و أن على من يسمع هذا الحديث أن يهادن الإثم ، و يداهن الجائرين ، و يستكين للأفول الذي لا محيصَ عنه.

و إيراد الحديث و فهمه على هذا النحو مرض شائع قديم.

و لو سرت جرثومة هذا المرض إلى صلاح الدين الأيوبي ما فَكَّر في استنقاذ بيت المقدس من الصليبيين **القدامى**.

و لو سرت جرثومة هذا المرض إلى سيف الدين قطز ما نهض إلى دحر التتار في (عين جالوت).

و لو سرت جرثومة هذا المرض إلى زعماء الفكر الإسلامي في عصرنا الحاضر ، ابتداءاً من جمال الدين الأفغاني إلى الشهداء و الأحياء من حملة اللواء السامق ، ما فكَّروا أن يخطوا حرفاً ، أو يكتبوا سطرا.

الواقع أن هذا الحديث و أشباهه يشير إلى الأزمات التي سوف يواجهها الحق في مسيرته الطويلة ، فإنَّ الباطل لن تلين بسهولة قَنَاتُه ، بل ربما وصل في جرأته على الإيمان أن يقتحم حدوده و يهدر حقيقته ، ويحاول الإجهاز عليه.

و عندما تنجلي الظلماء عن رجالٍ صدقوا ما عاهدوا الله عليه ، يقاومون الضلال بجلد ، ولا يستوحشون من جو الفتنة الذي يعيشون فيه ، و لا يتخاذلون للغربة الروحية و الفكرية التي يعانونها ، ولا يزالون يؤدون ما عليهم لله حتّى تنقشع الغمة ، و يخرج الإسلام من محنته مكتمل الصفحة ، بل لعله يستأنف زحفه الطهور فيضم إلى أرضه أرضاً و إلى رجاله رجالا.

و ذلك ما وقع خلال أعصار مضت ، و ذلك ما سيقع خلال أعصار تجيء ، و هذا ما ينطق به حديث الغربة الآنف ، فقد جاء في بعض رواياته:
(( طوبى للغرباء الذين يُصلحون ما أفسدَ الناسُ مِن سُنَّتي)) [راجع كل روايات الحديث في كتاب غربة الإسلام لابن رجب الحنبلي].

فليست الغربة موقفاً سلبياً عاجزا ، إنها جهادٌ قائم دائم حتّى تتغير الظروف الرديئة ، و يلقى الدين حظوظاً أفضل.

و ليس الغرباء هم التافهين من مسلمي زماننا ، بل هم الرجال الذين رفضوا الهزائم النازلة ، و توكلوا على الله في مدافعتها حتى تلاشت.

لقد سلخ الإسلام من تاريخه المديد أربعة عشر قرناً ، وسيبقى الإسلام على ظهر الأرض ما صلحت الأرض للحياة و البقاء ، وما قضت حكمة الله أن يُختبر سكانها بالخير و الشر.
و يوم ينتهي الإسلام من هذه الدنيا فلن تكون هذه دنيا ، لأن الشمس ستنطفئ ، والنجوم ستنكدر ، و الحصاد الأخير سيطوي العالم أجمع.

فليخسأ الجبناء دعاة الهزيمة و ليعلموا أن الله أبَرَّ بدينهِ و عبادِهِ مِمَّا يظنون". . .

هذا ما أورده الدكتور يوسف القرضاوي.

و في موضع آخر تحت عنوان "**الغزالي . . . مُصلحاً و مجددا**" ، و الذي قال فيه إنّ الغزالي أحد أعمدة التجديد الإسلامي الرئيسية في هذا العصر ، ذكر الحديث: "إن الله يبعث لهذه الأمّة على رأس كل مائة عام من يُجدد لها دينها" [رواه أبو داود]. و تكلم عن ما فيه من البشرى ببقاء الدين ، و تجديد الفهم له ، و الإيمان به ، و الالتزام بتعاليمه ، و الدعوة إليه. و ذكر أن "مَن" هنا قد تعود على الجمع أو على الفرد، فقد يكون المجدد فرداً أو جماعةً أو مدرسة أو حركة فكرية أو دعَوية أو تربوية أو جهادية تقوم بدورها في عملية الإيقاظ و الإحياء و التجديد ، و هذا ما رجَّحَهُ و مَالَ إليه. ثمّ عَقَّبَ بقوله:

**" و هنا لا يكون دور المسلم أن يقول : متى يظهر المجدد؟! بل يكون قوله : ما دوري في حركة التجديد؟ "**

ألا فليسأل كُلٌ مِنّا نفسه هذا السؤال . . .

هذا عن جانب الدعوة و لكن نستطيع أن نُطبق هذا الأمر علــى جوانب أخرى كثيرة. لعل جِمَاعُـهَا هـذا الحديث: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : "المؤمن القوي خير و أحب إلى الله من المؤمن الضعيف و في كلٍ خير ، **احرص على ما ينفعك** ، و استعن بالله و لا تعجز ، و إن أصابك شئ فلا تقل لو أنّي فعلت كذا لكان كذا ، و لكن قل : قدّر الله وما شاء فعل فإنّ "لو" تفتح عمل الشيطان" [رواه مسلم].

هكذا البشر في حياتهم عامةً ، قد تكون طموحاتهم عالية ، و آمالهم كبيرة (***دائرة الاهتمام***) و لكن ما في أيديهم من قدرة ، و ما في أنفسهم من طاقة (***دائرة التأثير***) ، قد لا يؤهلهم لنيل ما يرجونه من نتائج ، و تحقيق ما يصبونه من إنجازات على المستوى الشخصي ، أو الأسري ، أو الاجتماعي. و لهذا فالحديث يحثّ المؤمنين أن يعملوا على تقوية (*دائرة تأثيرهم*) – قوة في العقل و العلم ، و قوة في الجسد ، و قوة في الإيمان ، وقوة في العمل بهذا الدين - و أن يستعينوا بالله و يتوكلوا عليه إن لم تتحقق (*دائرة اهتماماتهم*). . .

ولمن أراد الفلاح – النجاح - الكامل في الدنيا و الآخرة فليقف عند قوله تعالى:
"يأيُّها الَّذينَ آمنوا اصبروا و صَابروا و رَابطُوا و اتَّقُوا الله **لعلكم تفلحون**" [آل عمران – ٢٠٠]. و عند قوله أيضاً:
"يأيُّها الَّذينَ آمنوا اركَعُوا و اسجُدُوا و اعبُدُوا رَبَّكُم و افعَلُوا الخَيرَ **لعلكم تفلحون** ، و جاهدوا في الله حق جهاده". [الحج – ٧٧ و ٧٨].

و أترك المجال لمن يقرأ ليتفكر في كل هذا ثانيةً ، فلا يزال هناك الكثير و الكثير ليُقال . . .

و لكن بَقِيَ مفهومٌ هام لا يَتِمّ الحديث إلا بدونه ، ألا و هو **القدوة**.

## Becoming a Transition Figure:

Each of us transmits certain behaviors, feelings, and lifestyles to others. Through transmission, we can act as ***Transition Figures***, consciously breaking **reactive** patterns and replacing them with **proactive** ones. Only then, we become **highly effective people**.

الكلام عن القدوة يحتاج إلى مقالاتٍ عدة ، و لكن الناجحون علـى مر التاريخ لم يكونوا إلا قدوة حسنة لمن عاصروهم ، و لمن جاء بعدهم . و ليعلم كلٌ مِنَّا أن أعماله ، للأسف الشديد ، تُحسَبُ على الإسلام في نظر من لا يعرفون الإسلام. فهل نَحنُ أمثلة تدل على ما في هذا الدين من خير؟! أم أنّنا لن نزال نسمع من يقول "أحمد الله أني دخلت في الإسلام قبل أن أرى المسلمين" . . .

يكفينا قول الحق سبحانه و تعالى :"لَقَدَ كَانَ لَكُم فِي رَسُولِ الله أسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرجُوا الله و اليَومَ الآخِرَ و ذَكَرَ اللّهَ كَثِيرا" [الأحزاب – ٢١].

فلينظر أحدنا مكانه من أخلاق رسول الله ، صلى الله عليه و سلم ، ولنقرأ سيرته و لنتدارسها و لنطبقها على أنفسنا ، فنحن مأمورون بذلك ، و لا يتخلفنّ أحد ، فما لا يَتِمُّ الواجبُ إلا به فهو واجب.

و لنعتبر من قصص القرآن " لَقَدَ كَانَ فِي قَصَصِهِم عِبْرَةٌ لأولِي الألبَابِ مَا كَانَ حَدِيثاً يُفْتَرَى و لَكِن تَصْدِيقَ الذي بَينَ يَدَيه و تَفصِيلَ كُلِّ شَيءٍ و هُدَىً و رَحْمِةً **لقوم يؤمنون**" [يوسف – ١١١].

و لنتأسى بأخلاق الرسل "أولئك الّذِينَ هَدَى اللّهُ فَبِهُدَاهُم اقْتَدِه قُل لا أسألُكُم عَلَيه أجْراً إن هُوَ إلا **ذكرٌ للعالمين**"[الأنعام – ٩٠].

و لنقرأ عن الصحابة فبينهم نزل القرآن ، و به عملوا ، و له احتكموا ، و به حكموا ، و إليه دَعَوا ، و من أجل ما فيه جاهدوا في سبيل الله. "و السَّابِقُونَ الأولَونَ مِنَ المُهَاجِرِينَ و الأنصَارِ و الذِينَ اتّبَعُوهُم بإحْسَانٍ رَضِيَ اللّهُ عَنهُم و رَضُوا عنه و أعَدَّ لَهُم جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أبَداً ذَلِكَ الفَوزُ العَظِيم" [الأحزاب – ٢١].

هذا ما أردتُ قَولَه ، و صدقاً قال الله فينا "مِنكُم مَن يُرِيدُ الدُنيَا و مِنكُم مَن يُرِيدُ الآخِرَة". [الأحزاب – ٢١].